يوميات جينيفييف

للأديب الفرنسي مارسيل بريفو

عضو المجمع اللغوي الفرنسي

بقلم الدكتور محمد غلاب

٢ — المواسي :

٢٦ مايو

ها أنذى منفردة هذا المساء أيضاً شأني في كثير من أمسية هذا العام ، فأين راءول الآن يا ترى ؟

لم أسأله هذا السؤال ، لأني تعبت من كثرة الكذب المستمر السهل على لسانه ، ومن تشابه الجواب دائماً ، وهو « إني ذاهب إلى النادي ، بيد أنه ينبغي أن أكون مخلصة ، ففي هذا اليوم وضع نفسه تحت تصرفي وعرض عليّ أن أصحبه إلى منزل أحد أصدقائنا حيث تمثل رواية « الضابط » الهزلية ، ولكني علمت ان الآنسة « دي جيفيرني » ستمثل في هذه الرواية دور « الساذجة العصرية » وهذا النبأ سلبني كل رغبة في مشاهدتها. أما راءول ، فهو لا ريب ذاهب اليها ، وكذلك مدام ديلافو من غير شك . وفي هذه اللحظة هو بجانب إحداهما ، وهو يلقي على صدريهما تلك النظرة التي هي مزيج من إعجاب وسخرية ، والتي يلقيها دائماً على النساء اللواتي يشتهيهن ولا يحترمهن ، أما أنا ففي الوقت الذي كان يحبني فيه لم يكن يلقي عليّ مثل هذه النظرات الساخرة ، ومع ذلك فلا ينبغي أن أفكر في شيء من هذا ، إذ لديّ ما يعزيني وينسيني كل شيء ، وهو طفلي العزيز ، ولقد أذنت لمربيته الليلة في أن تتنزه ، وإذاً ، فأنا التي سألاحظه في سريره .

إن رينيه نائم الآن على ظهره ، وهو يضغط شفتيه ، ويزقزق من حين إلى آخر كالعصفور الصغير ، فيجب ألا نوقظه ، لأنه إذا استيقظ من نومه الأول لا ينفو إلا حين يجيء موعد نومه الثاني إذ أنه ينام بنظام وفي أوقات معينة.

إن مربيته تقول لي إن الناظرين إليه في الحديقة العامة يقدرون له أكثر من سنه ، ولعلها تقول ذلك لتسرني ، لأنني أتمنى أن يكون أطول الأطفال وأقواهم وأجلهم وأذكاهم من غير استثناء ، إذ هذه كبرياء الأم وأنانيتها ، وهي كبرياء مباحة وأنانية مشروعة فيما أعتقد .

ما ألذ لغة رينيه المكسرة على مسمعي ! ولقد تقدمت صحته قليلا منذ بضعة أيام ، ومع ذلك فالطبيب يجيء ليعوده في كل صباح . واليوم لم أستطع أن أحصل منه على جواب صريح يطمئنني على صحته كما كنت أرجو . وكلما أفكر في ضعف صحة هذا المخلوق المعبود وأتخيل أن حمى خبيثة تستطيع أن تختطفه مني في بضع ساعات ، أصير على أتم استعداد للجنون ، وعلى أثر هذا الخيال أنتصب واقفة وأجري إلى مهده دون أن أشعر ، ولا أطمئن إلا حين أرى تنفساته تحرك الغطاء بنظام ، أو أرى فمه الحالم يلوك في هدوء لغة النوم . وفي أثناء هذا كله ، وحين أكون ساهرة بالقرب من سرير طفلي يكون راءول مشغولا بالحصول على وعد من مدام ديلافو ، أو بمحاولة الاختلاء بالآنسة جيفيرني لأن الأمر انتهى بي إلى أن أومن بأن هذه المنازلات لم تعد بريئة طاهرة ، فتجاربي الشخصية من ناحية ، وآراء والدتي من ناحية أخرى قد أزالت من نفسي تلك السذاجة التي كانت تغشيها إلى عهد قريب . لقد كانت والدتي تقول لي دائماً : « إذا لاطف زوجك سيدة ، فكوني على يقين من أن الفرق بين المنازلة والخيانة هو منحصر في غيبة الإمكان المادي ، فإذا تيسر هذا الإمكان زال ذلك الفرق » . آه من المنازلة ! تلك الكلمة المرعبة المنافقة التي تخفي تحتها كثيراً من المزعجات التي كلما أسمعها تنطق . أمامي أرتاع كما لو أني أسمع إحدى الكلمات الوقحة الجارحة .

لكي أمضي الساعات التي سأقضيها ساهرة إلى جانب سرير الطفل ، دخلت حجرة تدخين زوجي التي يستقبل فيها أصدقاءه

الأخصاء ، لأتصيد منها بضع صحف أو مجلات أتلهى بها ، فوجدت « الفيجارو » و « جيـــل بلاس » و « الجولوا » و « الكلمة الحرة » فجمعتها ، لأتصفحها . غير أن راءول — لتفريطه فى النظام وإفراطه فى حسن النية — كان قد ترك حلقة مفاتيحه معلقة فى درج المكتب ، ولكن هل فتنتنى هذه الفرصة لخطر لى أن أتعقبه ؟ حقاً إنى لا أعتقد ذلك ، بل إن الذى استولى علىّ فى هذه اللحظة هو حب الفرار من هـذه الفتنة فنجوت بنفسى نقية اليدين وعدت إلى حجرتى . وفى الحال دعوت الخادم جوزيف وهو أخلص الخدم إلى زوجى ، لأنه فى خدمته منذ أن كان صبياً ، وهو لهذا كان يعاديني ، فلما جاء أمرته أن يأتينى بالصحف فأتى بها ونزع الفاتيح ، وهذا هو الذى كنت أقصده لأنجو من هذه الفتنة الأخلاقية .

فلنقرأ الصحف لنتسلى بها إن بعض هذه الصحف تضايقنى لأنها جدية جافة ، أما البعض الآخر الذى يستهذبه شباننا من الإخوة والأزواج فهو ما لا أتذوقه ولا أفهمه . وهناك عدد من الصحف تؤلمنى مطالعته لأننى أرى فيه تشويه الأخلاق أو جرح الفضيلة . ومن هذا النوع الأخير هذه الصحيفة التى يقول عنها راءول إنها تُعنى بأخبار النوادى والحفلات ، وأنباء النساء الماجنات . وفى الواقع أنها كذلك حيث أرى الآن فيها هذا العنوان « الرجل الذى قتل كلبه بعد موت زوجته » . ولاشك أنى لا أفهم هـذا النوع الشائك من الأخبار ولا أستحسنه . وهناك نبأ آخر فى هذه الصحيفة يحدثنا أنه قد لُحِظَتْ أمس فى غابة بولونيا الآنسة « إرماديكاوزبيه » و « مارجريت ديبورجونى » و « ميس شامپانى » . ولست أدرى أى شخص يعنيه هذا النبأ الذى استنفد إثنى عشر سطراً ؟ لا ريب أنه يعنى عشاق هاتيك النساء ولا بد أن يكونوا كثيرين حتى تكترث هذه الصحيفة بارضائهم . فأما السياسة فسنتخطاها ، ولننظر حالا فى الحوادث المختلفة . ها هو ذا نبأ عنوانه « سيدة غيورة تطلق المسدس على زوجها » . مسكينات تلك الزوجات ! إنهن فى جميع الطبقات من أعلاها إلى أدناها هن المهجورات ، ولكن كيف يستطعن التصميم على قتل من أحببن ؟ ! .

والآن نلق نظرة على رسائل القراء التى يتخاطبون بها عن طريق الصحيفة ففيها شىء من التسلية ، لأنها تحوى طائفة كبيرة من المآسى والمهازل .

وبينما أنا أقرأ فى هذه الرسائل ، إذ رأيت الدنيا تضطرب فى عينى فجأة ، وأحسست كأن قلبى يتشرب كل ما فى جسمى من دم ، وسقطت الصحيفة من يدى ، ومال جسمى على المقعد بعد أن فقد توازنه الطبيعى . وظللت كذلك ساعة من الزمن ، فلما عدت إلى نفسى تناولت الصحيفة من جديد وحدقت فى نفس السطر الذى قلبت كيانى مطالعته ، وهو يشتمل على ما يلى : « ر . — سرور ! غـداً مساء (السبت) . إنى نجحت فى أن أتخلص من هذا الريف المزعج ، وسأكون فى العش المختار فى الساعة العاشرة مساء ، ولكن لا تجىء إلا إذا كنت قد صممت على أن تكون عاقلا « الأمضاء » سوز » .

لماذا اقتنعت فى الحال ولأول وهلة أن حرف الراء رمز لراؤول زوجى ، وأن سوز هى سوزان ديلائو ؟ فأما التعقل المنطقى فليس فيه ما يؤيدنى فى هـذا اليقين ، إذ لا أعرف أن مدام ديلائو غائبة عن پاريس ، بل إننى قلت لراؤول محاولة المزاح قليلا : إنك سترى فى حفلة الليلة سوزان الجميلة ، فابتسم ابتسامة لم تلبث أن اختفت خلف لحيته السوداء ولم يحاول الدفاع عن نفسه .

فهل كان يجهل غيابها أو كان يسخر منى ؟ لا أدرى ، ولكن الذى أنا واثقة منه هو أن هذه الرسالة الصغيرة موجهة إلى راؤول من مدام ديلائو ، وأنى موقنة بهذا إيقانا لا يقبل الجدل وعن طريق خفى . إنى أعيد قراءة تلك السطور المرعبة كلمة كلمة ؛ وإن كل عبارة من عباراتها تبدو لى كأنها كائن حى . يالله ! إنها مبدوءة بهـذه اللفظة الماجنة : « سرور » حقاً إنه لسرور لها حينما تنفلت من زوجها معتذرة إليه لا أدرى بأى كذب ، لتلقى بنفسها بين أحضان أدنأ الجرائم وأشنعها ... سأكون فى العش المختار ... ! . إننى محتفظة بعواطفى ، ومع ذلك فلم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء . « العش المختار ! » إذاً ، إن ما كنت أخشاه منذ زمن لحق ، وإنه لحق أيضاً أن

الرجل الذى منحته نفسى بوساطة الزواج يستمتع بحب فى باريس، وفى منزل آخر غير الذى أعيش فيه أنا وطفلى . غير أن الجملة الأخيرة من هذه الرسالة وهى : « لا تجئ إلا إذا صممت على أن تكون عاقلا » . هذه الجملة — على ما بها من رفع الكلفة المقزز — تركت فى نفسى شيئاً من الأمل ، إذ لو أنها تحبه لما قالت له هذه الكلمة . ها هى ذى حاضنة الطفل قد عادت من دار التمثيل ، فلأرسلها إلى غرفتها لتنام ، أما أنا فسأقضى الليلة هنا إلى جانب مهد ابنى ، ولعل وجودى بجانبه يحول بينى وبين اليأس ، وأما راؤول فلا أستطيع أن أراه اليوم مطلقاً . أوه يا عزيزى المواسى الصغير ! .

٣ — القلق :

٢٧ مايو

مبدأ حزن ليوم حزين ، فالسماء تمطر ، والمطر الحزين يتفق مع ما أنا فيه الآن من حزن وألم . وكل شىء يثقل كاهلى وجميع العوامل السيئة قد تكاتفت على إنهاكى ، إذ أن الطفل قد أمضى ليلة سيئة وكان فى نهايتها شديد الهياج ، مرتفع الحرارة وإن كانت حالته قد تحسنت قليلا فى هذا الصباح . وأنا أنتظر الدكتور « روبان » بفارغ الصبر . أليس ذلك كثيراً على يا إلهى ؟ أو ليس فوق طاقتى أن ترسل إلى هذه المحن الأخرى على أثر الأولى ؟ لأنى الآن لم أعد أشك فى صحة ما ظننته ، إذ قد سألت راؤول فى هذا الصباح بعد أن حاولت أن أكون هادئة فقلت : هل مدام ديلافو كانت أمس فى تلك الحفلة ؟ فتردد لحظة قبل أن يجيبنى ثم قال : « لا أظن ذلك ، لا ، إنها لم تكن هناك يقينا » .

ولكنى ألححت قائلة : « هل كانت غادرت باريس ؟ » فلما سمع هذا السؤال ظهرت على وجهه حركة جزع ثم قال فى غضب : — لا أدرى يا صديقتى العزيزة ! وهل أنا حارس مدام ديلافو ؟ ومع هذا فإنى أتوسل إليك ألا تحدثينى عن هذه الإنسانة التى تبغضينها ولا أدرى لماذا ، لاسيما وأنها تحرص دائما على أن تكون فى حضرتك غاية فى الكمال .

فى هذه اللحظة أحسست بألوان من الحقد تتجمع فى نفسى حتى منعتنى من أن أجيب على عبارته الأخيرة ؛ بل إنى لم أرد أن أنبئه بقلق على الطفل ، فليكن ما يكون ، وليعبث كما يشاء ، ولينغمس فى اللهو خارج المنزل ، فأنا أريد أن أحمل مفردة عبء قلق ، والطفل لم يعد ابنه فسأتولى وحدى شؤونه .

كانت الساعة العاشرة صباحا حينما دخل الخادم إلى غرفتى وأنا غارقة فى هذه الهموم ومعها علبة مليئة ببعض المشتريات ، ونبأنى أن عاملا من أحد التاجر الكبيرة التى نعاملها قد حملها إلى المنزل وكلفها إيصالها إلى ، ثم قالت الخادم : إن العامل منتظر خارج الباب ، لأنه ليس متأكدا أن هذه العلبة مرسلة إلى سيدتى ، فتناولتها فإذا عليها هذا العنوان : « مدام دى بواستيل » رقم ١٣ شارع فيزيليه .

هذا هو اسمى ، ولكننى أنا أسكن « فوبورسان أونوريه » لا شارع فيزيليه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن اسمى فى هذا التجر « الكونتيس دى بواستيل » تبين أن فى الأمر شيئا أو أن هناك خطأ ، فدعوت العامل وقلت له :

— إننى لم أوص بشىء من متجركم ، فاحمل هذا وانصرف لأنى لا أدرى ما هو .

— يا سيدتى : نحن شككنا كذلك ، وظننا أن هناك خطأ ، لأن عنوان سيدتى عندنا ، بيد أن سيدى الكونت هو الذى جاء بنفسه فأوصى بهذا الطلب وأعطانا هذا العنوان؛ ولكن بما أنى ذهبت إلى شارع فيزيليه فلم أجد أحدا فى المنزل الذى عينه لنا ... وفى هذه اللحظة امتقع لونى ، فأدرك العامل أنه اقترف غلطة كبرى ، فصمت فجأة ، لأنه فهم كل شىء ، فتحاملت على نفسى وقلت له : حسن ما تقول ، ولكن احمل هذا فإنه ليس لى . قلت ذلك للعامل وانزويت فى غرفتى واستسلمت إلى البكاء .

وهكذا بعثت المصادفة إلى بسر زوجى، فأنا كنت أعرف أن مدام ديلافو قد حددت هذا المساء لاجتماعها به . والآن أعرف كذلك أين مكان هذا الاجتماع ، إذ أن راؤول قد بلغ به الاستخفاف إلى حد أنه لم يحاول إخفاء اسمه فى هذا المنزل الذى اختاره للخيانة الزوجية . ولا ريب أن شريكته فى الجريمة تدعى فى ذلك المنزل بالكونتيس دى بواستيل ، فماذا يجب على أن أعمل ؟ أليس من واجبى أن أحول بين زوجى وبين الإجرام ؟

نعم قد كنت فيما مضى أمتعض من أن أقوم بتحقيق هذه الخيانة وأن أتعقب الجناة ، ولكن ما الذي يمنعني الآن من أن أنذره ومن أن أجاهد ضد هذه المرأة ، لأصرفه عنها ؟

إنني أستطيع حين يعود راؤول للغداء أن أقول له : إني عرفت كل شيء ، وأن أشرح له الصادفة التي أنبأتني بالرغم مني. أجل سأشرح له ذلك ، ولكنه سينكر ، فقد تعلم الكذب بمعاشرته تلك المخلوقة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فأنا أصبحت لا أحسن المناقشة معه ، ولهذا أخشى أن تنتهي المسألة بمشهد عام . وعلى أثر ذلك سيخرج من المنزل جاذبا الباب وراءه بقوة كما هي عادته ، ثم يذهب ليتعشى في النادي ويتجه بعد ذلك إلى شارع فيزيليه ، ليلتقي بعشيقته . فمن الخير إذاً ، ألا أقول له شيئا وأن أسبقه إلى ذلك المنزل فأقفه أمام الأمر الواقع بين زوجته وعشيقته ، وإذ ذاك لا يستطيع أن ينكر ، وله في تلك الساعة أن يختار بيني وبينها . ولكن ما أفظع الانتظار في الطريق وما أشنع تلك المقابلة وإن كانت هي الواجب !

الساعة الثانية بعد الظهر من اليوم نفسه :

— لقد جاء الطبيب ولم يطمئني على صحة الطفل فحالته سيئة ودرجة حرارته مرتفعة وهو يبكي ويرتعد ، وكلما المس أي عضو من أعضائه الصغيرة أجده يتصبب عرقا . ولقد سألت الطبيب قائلة : هل هو في خطر ؟ قل لي الحقيقة ، إنني أريد أن أعرف .

فهز رأسه وظهرت عليه علائم الشك ثم قال :

— خطر ... يا إلهي ... أنا لا أدري ... في هذه اللحظة هو محموم ، وهذا كل شيء ، والحمى يمكن أن تذهب كما جاءت . فسألته قائلة :

— وإذا لم تذهب ؟

— أوه ! إذا لم تذهب ، فإنها ستتطور إلى مرض من أمراض الأطفال مثل الحصبة أو الحبوب القرمزية .

— إني آمل على الأقل أن لا يكون الجدري .

الجدري ! هذا هو الذي يروعني ، إذ قد قرأت في الصحف هذا الصباح أن ذلك الوباء قد بدأ يقل ، ولكن لا يزال له ضحايا . فهل ابني الذي سلب من تلك الأمهات المسكينات نعمة سرورهن وهي أطفالهن ، سيسلبني أنا من هذه الكارثة ؟

إن الطبيب لا يعرف ماذا يقول ، ولهذا ينطق بمثل الكلمات التي أنطق بها لأسلي بها نفسي ، وهي : أن الطفل في صحة حسنة ، وأن مرضه إلى الآن ليس خطرا ، ولكن من المؤسف أن كل ما يقال لي لا يطمئنني .

اليوم لم نكد نتحادث على مائدة الغداء ، ومع ذلك فقد لاحظت على راؤول اتجاها حسنا ينعطف به نحو الاستسماح وكأنه كان يقوم بمجهود ، لأغفر له سوء المزاج الذي ظهر منه في هذا الصباح أو الخيانة التي ينتويها في هذا المساء ، وقد سألني قائلا :

— هل الطفل أحسن حالا ؟

فأجبت قائلة :

— لا ، بل بالعكس ، إن ليلته كانت سيئة ، وإنني لقلقة .

قلت هذا والدموع تطفر من عيني غضبا بقدر ما كانت تطفر حزنا . فلما رأى هذا نهض واقفاً وأراد أن يقبلني ، وإذ ذاك تذكرت تلك المرأة التي يلمس خديها وشفتيها أيضا ، فابتعدت سريعاً مدفوعة بغريزتي ولم يلمس مني إلا شعري ، فعاد إلى مقعده ولاحظت عليه في هذه اللحظة أن لونه صار شديد الامتقاع ، وتملكه الانفعال حتى كسر قاعدة كوبته ، ثم ظللنا ساكتين إلى أن انتهى الغداء . وعلى أثر ذلك ، وفي نفس اللحظة التي أخذ يشعل فيها لفافته صعدت إلى حجرة الطفل .

كن رؤوفا بي يا إلهي وساعدني وامنحني الثقة والشجاعة اللتين تمنح المرأة المتدينة إياهما في وسط ما تبتليها به من أحزان ، فأنا أشعر في قرارة نفسي أن قوتي لا تكفي لمقاومة هجوم كل هذه المقلقات ، وأنا أعلن ضعفي وانهزامي أمام هاتين المحنتين ! يا إلهي اعف عني ، فأنا لا أعرف إلا شيئا واحد وهو أني أسألك أن تنجيني منهما كلتيهما ، فليس عندي من الشجاعة ما يجعلني أحتمل أن يسلب مني راءول وريفيه ، وإنني أفضل أن تصعقني أنا ، لأني عديمة النفع في هذه الدنيا ، ولأن أقدم اليك حياتي عن طيب خاطر خير من أن أقدم أمانة زوجي أو صحة طفلي .

(يتبع)

محمد قطب

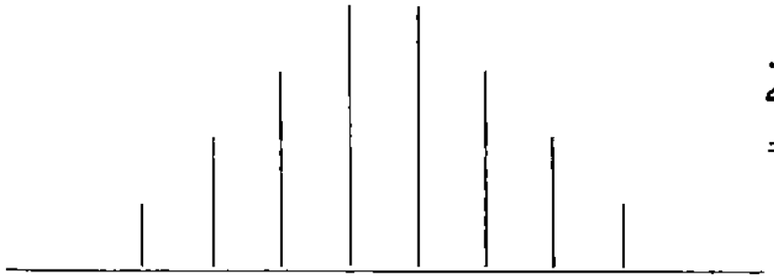

مطبعة الرسالة

مستعدة لطبع الكتب والمجلات العربية

بما عرف عنها من :

الدقة ، والسرعة ، والذوق

والنظافة ، واعتدال الأسعار . . .

سكك حديد الحكومة المصرية

مواعيد فصل الصيف

يتشرف المدير العام بأن يلفت نظر الجمهور إلى التعديلات التى أدخلت على قطارات الاكسبريس والركاب والتى نفذت إبتداء من أول مايو سنة ١٩٤٦ كالمبين بالجداول المعروضة بالمحطات .

يغادر قطار الاكسبريس رقم ٨٩ الشلال فى الساعة ٣٠ ١٦ (بدلا من الساعة ٠٠ ١٥) إلى القاهرة كما يغادر قطار الاكسبريس رقم ١٦٣ الشلال فى الساعة ٠٠ ١٧ (بدلا من الساعة ٠٠ ١٦) إلى القاهرة .

يغادر قطار الاكسبريس رقم ٢ / ٧٥١ القاهرة فى الساعة ٥٠ ١٧ بدلا من الساعة ٤٥ ١٨ إلى حيفا .

يغادر قطار الاكسبريس رقم ١ / ٧٥٠ القنطرة شرق فى الساعة ١٥ ٥ بدلا من الساعة ١٥ ٤ إلى القاهرة .

(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)